زيارة

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

في يوم شهادته

مع شرح

المولى الشيخ محمد صالح المازندراني رحمه الله

المتوفى سنة ١٠٨١ هجرية

سند الزيارة

عدّة[١] مـــن أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيســـى، عن البرقي، عن أحمد بن زيد النيسابوري قال: حدّثني عمر بن إبراهيم الهاشـــمي، عن عبد الملك بن عمر، عن أُسيد بن صفوان صاحب رسول الله (ص).

قال: لمّا كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين (ع) ارتجّ الموضع بالبكاء[٢] ودهش الناس كيوم قبض النبي (ص) وجاء رجل[٣] باكياً وهو مسرعٌ مسترجع[٤] وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوّة[٥]. حتّى وقف على بـــاب البيت الذي فيه أمـــير المؤمنين (ع) فقال:

---

(١) الكافي ج١ ص٤٥٤.

(٢) الارتجاج الاضطراب والحركة.

(٣) يفهم من كلام الصدوق في كتاب كـــمال الدين وتمام النعمة أن ذلك الرجل هو الخضر (ع).

(٤) ســـمع أمير المؤمنين (ع) رجلاً يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون فقال: إن قولنا إنا لله، إقرار على أنفســـنا بالملك. وإنا إليه راجعون، إقرار على أنفسنا بالهلك. أقول: فيه اعتراف بأنه مبدء كل شيء ومرجعه وهو احرى كلمة يقال في مقام التسليم والرضا بقضاء الله وحمل النفس على النوائب وصبرها على المصائب.

(٥) أي خلافتها الظاهرة وهو كما قال لأنَّ تلك الخلافة بعده (ع) وقعت في أيدي أئمة الجور وبطلت السنة وعطلت الشريعة.

نص الزيارة

رحمك الله يا أبا الحسن كنت أوّل القوم إسلاماً[١]، وأخلصهم إيماناً[٢]، وأشــدّهم يقيناً[٣]، وأخوفهم لله[٤]، وأعظمهم عناءً[٥]، وأحوطهم على رســول الله (ص)[٦]، وآمنهم عــلى أصحابه[٧]،

(١) هذا مما اتفقت الأُمة عليه ولا عبرة بمخالفة شاذّ من النواصب.

(٢) الإيــمان الخالص بوصــف الزيادة هو الذي لا يطلب بــه غير وجه الله تعالى أو الــذي بلغ غاية الكمال، ولا يبلغها إلاّ بالتخـّلي عن جميع الرذائل والتحلّي بجميع الفضائــل، وتهذيب الظاهر عن الأفعال القبيحــة وتزيينها بالأعمال الحسنة، وليس المتصف به غير علي بن أبي طالب (ع) اتفاقاً.

(٣) وهــو نوع من الإدراك مطابق للواقع غير محتمل للنقيض، وبتفاوت ذلك في الشدة والضياء حتى يصير المعلوم كأنه مشــاهد، كما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) بقوله: «لو كُشــف الغطاء مــا ازددتُ يقيناً»، والتفــاوت ليس باعتبار الطباق، بل باعتبار طهارة النفس وكمالها في القوة النظرية والعملية.

(٤) لأنَّ مراتب الخوف متفاوتة باعتبار تفاوت مراتب العلم، كما يُشــعر به قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، وهو (ع) أعلم الأُمة اتفاقاً فهو أخوفهم.

(٥) كمال عنائه وفضله في الرياضات والعبادات والمجاهدات مع النفس والأعداء بحيث لا يدانيه أحد مشهور بين العامة والخاصة.

(٦) حاطه يحوطه حوطاً وحياطة إذا حفظه وصانه وذب عنه وتوفر على مصالحه، وكل ذلك كان له (ع) على وجه الكمال بالنسبة إلى النبي (ص)، حتى إنه كان ترسه في جميع النوائب ووقايته في جميع المكاره.

(٧) كان (ع) أمين الله على عباده وأمين رســول الله على أُمته، وزيادة اتصافه بهذه الصفة على غيره كائناً من كان أمر لا ينكره إلاّ النواصب.

وأفضلهم مناقــبَ[١]، وأكرمهم ســوابقَ[٢]، وأرفعهم درجةَ[٣]، وأقربهم من رسول الله (ص)[٤]، وأشبههم به هَدْياً وخُلُقاً وسَمْتاً وفعــلاً[٥]، وأشرفهم منزلةً وأكرمهم عليــه[٦]، فجزاك الله[٧] عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً.

---

(١) قد اتفق عليه العامة والخاصة ولا ينكره عدوه.

(٢) لسبقه عليهم في الإيمان والعلم والحلم والكرم والسخاء وغيرها من المناقب والمفاخر.

(٣) لأنَّ رفعــة الدرجة وعلــو المنزلة باعتبــار العلم والعمــل والمناقب وكرم الأخلاق وقد فاق (ع) جميع الأُمة بجميع ذلك فدرجته فوق درجتهم.

(٤) أي: أقربهم منه في من يدعي الخلافة، أو في استحقاقها، أو في النسب الجسماني والروحاني معاً، فإنهما من نور واحد، فلا يرد أن عباس أقرب.

(٥) الهدي ـ بفتح الهاء وســكون الدال ـ: الســيرة والهيئــة والطريقة، والخلق ـ بضم الخاء واللام وســكونها ـ: الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة ـ وهي نفسه ـ وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصــورة الظاهر وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حســنة وقبيحة، وتعلق الثواب والعقاب والنقص والكمال بأوصاف الصورة الباطنة أكثر وأشــد من تعلقها بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تضمنت الآيات والروايات في مدح حسن الخلق والسمت والهيئة الحسنة والقصد. وقد كان (ع) في سيرته الباطنة وهيئتــه الظاهرة وأخلاقه الفاضلة وأفعاله الجميلة مشــابهاً للنبي (ص) على وجه الكمال، ولا يشاركه في تلك أحد من الصحابة وغيرهم.

(٦) قد كانت منزلته أشرف وأرفع، وهو عليه (ص) أكرم وأعز، لما فيه من جميع أنواع الخير والشرف والفضائل واستحقاق رئاسة الدنيا والدين.

(٧) دعاء له بمقابلة إحسانه بالإحسان ولفظ الخبر جامع لكل ما يطلبه ويرغب فيه.

قويت حين ضعف أصحابه[١]، وبرزت حين استكانوا[٢]، ونهضت حين وهنوا[٣]، ولزمت منهاج رسول الله (ص) إذ همّ أصحابه[٤]، وكنت خليفته حقّاً، لم تُنازَع ولم تَضرَع[٥] برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وصغر الفاسقين[٦]،

(١) وصفه بالقوة المطلقة كما وصفهم بالضعف المطلق، وحذف المتعلق فيهما للدلالة على التعميم، أو المراد قويت في الدين والعلم والجهاد حين ضعفوا فيها.

(٢) أي: برزت إلى الجهاد حين استكانوا وعجزوا، كما يظهر ذلك في غزوة بدر والأحد والأحزاب وخيبر وغيرها.

(٣) أي: قمت بإعلان الحق والعمل به ودفع شبهات المنكرين حين وهنوا وضعفوا عن ذلك، وذلك مشهور.

(٤) أي: لزمت منهاج رسول الله (ص) وشريعته البيضاء إذ همّ أصحابه العدول عنه وقصدوا إبداع البدع وإفشاءه. وفيه إشارة إلى متانته في الدين ورزانته في اليقين.

(٥) الفعل الأول مبني للمفعول والثاني للفاعل، تقول: ضَرع يضرَع ـ من باب علم ومنع وشرف ـ إذا ذلّ وضعف، أو للمفعول أيضاً من أضرعه إذا أذله. يعني: كنت خليفته وقائماً مقامه في حياته وبعد موته بأمره وأمر الله تعالى بلا منازعة ولا ذل وضعف فيك، ومن أدعى الخلافة إنما ادعاها من قِبل نفسه الشريرة لا من قِبل الله تعالى ولا من قِبل رسوله، والذل إنما يرجع إليه بمخالفته لا إليك.

(٦) تقول: أرغم الله أنفه أي: ألصقه بالرغام وهو التراب، هذا هو الأصل، ثم شاع استعماله في الذل والعجز. والظرف في موضع النصب على أنه حال من فاعل لم تضرع، أو: كنت. ولعل المراد بالمنافقين من وافقه من أصحابه ظاهراً لا باطناً، فإن كثيراً من أصحابه كانوا على صفة النفاق، وبالكافرين من خالفه وقاتله كمعاوية وأضرابه، وبالحاسدين الخلفاء الماضين، وبالفاسقين أتباعهم

فقمت بالأمر حين فشلوا[١] ونطقت حين تتعتعوا[٢]، ومضيت بنور الله إذ وقفوا[٣]، فاتّبعوك فهدوا[٤]، وكنت أخفضهم صوتاً[٥]، وأعلاهم قنوتاً[٦]،

وأشياعهم. مع احتمال أن يراد بالجميع من خالفه ظاهراً وباطناً أو فيهما، قاتله أم لا، والتكرار باعتبار تعدد صفاتهم، أعني: النفاق والكفر والحسد والفسق، فإن كل من خالفه بنحو من الأنحاء فهو متّصف بهذه الصفات.

(١) أي: قمت بأمر الدين ومصالح الخلق حين جبنوا وضعفوا عنه، كضعف الجاهل عن المسائل اليقينية والمصالح الدينية والأُخروية.

(٢) التعتعة في الكلام: التردد فيه من حصر أو عجز عن فهم مؤداه، وجهل عن درك مغزاه. ورجوعهم إليه في المسائل المعضلة والأمور المشكلة واستضاءتهم بنوره في الحدود والاحكام أمر مشهور بين الخواص والعوام، وقد كان (ع) أمير الكلام كما كان أمير الأنام.

(٣) أي: سرت في سبيل الحق ومنهج الشرع بالهداية الربانية والعلوم اللدنية والإشراقات اللاهوتية، إذ وقفوا عن السلوك فيه لظلمة ضمائرهم وفقد بصائرهم.

(٤) فيه إشارة إلى أن ما حصل لهم من الهداية لشيء من الحق إنما حصل لهم بسبب متابعته فيه، ولولا ذلك لم يهتدوا إلى شيء أصلاً، أو مدح للسالكين في قفاه والتابعين لهداه من الفرقة الناجية، والتفريع بالأول أقرب، وفي كتاب (كمال الدين): «ولو اتبعوك لهدوا»، وهو بالسياق أنسب.

(٥) خفض الصوت كناية عن العلم والحلم واللينة والدعة والسكون والوقار، كما أن رفع الصوت وغلظته كناية عن أضداد هذه الأمور.

(٦) القنوت يرد لمعان متعددة، كالطاعة والخشوع والصلاة والدعاء والعبادة والقيام وطول القيام والسكوت، وقد فاق (ع) جميعهم في جميع ذلك.

وأقلّهم كلاماً[١]، وأصوبهم نطقاً[٢]، وأكبرهم رأياً[٣]، وأشجعهم قلباً[٤]، وأشدّهم يقيناً[٥]، وأحسنهم عملاً[٦]، وأعرفهم بالأُمور[٧]. كنت والله يعسوباً للدّين[٨] أولاً وآخراً، الأوّل حين تفرّق الناس

---

(١) قلة الكلام وحفظ اللسان عما لا ينفع وصرفه عما لا يعني دليل على نبالة العقل وشرافة النفس وكمالها في القوة النظرية والعملية.

(٢) إذ نطقه كان صواباً وصدقاً دائماً بخلاف نطقهم، فإنه كان خطأ وكذباً غالباً.

(٣) الرأي يطلق على العقل، والمراد بكبره نجدته وشرافته وضياؤه، وعلى التفكر في الأسرار الإلهية والنواميس الربانية والتأمل في عواقب الأمور وحوادث الدهور، وأما الرأي بمعنى القياس فليس بمراد هنا قطعاً، وفي بعض النسخ «أكثرهم رأياً» بالثاء المثلثة، والمراد بالرأي فيه هو المعنى الثاني.

(٤) شجاعة القلب عبارة عن قوته في المجاهدات على أنحائها، والتجنب عن متمنيات النفس وإغوائها، وعن قدرته على ترتيب المعاني والحقائق وترصيف النكات والدقائق على وجه يتحيّر لكماله الفصحاء ويتعجب من جماله البلغاء.

(٥) الظاهر أنه مكرر من الناسخ الأول، مع إمكان أن يراد بالقين هاهنا اليقين بالاحكام، بقرينة اقترانه بالعمل، وفي السابق اليقين بالله وبرسوله بقرينة اقترانه بالإيمان. والله أعلم.

(٦) حسن العمل باعتبار اشتماله على ما له مدخل في كماله من الأجزاء والمقارنات والشرائط، مع اتصاف فاعله بقصد التقرب وكمال التوجه إلى المعبود الحق والاستغراق في مشاهدة جلاله وكماله، وكل ذلك كان له (ع) على الوجه الأتم والأكمل، بحيث لم يشاركه أحد من الصحابة.

(٧) اعترف به جميع الأُمة، وقد مرَّ مراراً أنه (ع) كان عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وما كان أحد من الصحابة بهذه الصفة اتفاقاً.

(٨) أي: لأهله، واليعسوب في الأصل: أمير النحل، والياء زائدة، ثم أُطلق على

والآخر حين فشلوا[١]. كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً[٢]، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا[٣]، وحفظت ما أضاعوا[٤]،

سيد القوم ورئيسهم المقدّم عليهم في جميع الأمور، لرجوعهم إليه واجتماعهم عليه، كما يجتمع النحل على يعسوبها.

(١) أي: الأول حين تفرّق الناس في الدين ونفروا عنه، والآخر حين فشلوا وعجزوا عن إدراك حقيقته وحقيقة ما هو مطلوب فيه. وفيه تنبيه على أن إمارته (ع) كانت ثابتة في كلا الزمانين، ولا يدفعها خلاف من خالفه، لأنها كانت من الله ومن رسوله لا من الخلق حتى يثبتها توافقهم ويدفعها تخالفهم. ويمكن أن يكون كلا الزمانين بعد مضي النبي (ص)، وأن يكونا قبله، وأن يكون الأول بعده والآخر قبله، وبالعكس.

(٢) العيال ـ بالكسر ـ: جمع عيل كجياد جمع جيد، وعال عيالة: أقاتهم وأنفق عليهم، فعيال الرجل هو من جمعهم ليقيتهم وينظر في أمورهم ويصلح حالهم، والله سبحانه جعل الخلق عيال الإمام وجمعهم تحت عنايته ليصلح أحوالهم في معاشهم ومعادهم، وجعله كالأب الرحيم لئلا يجور في رعاية حقوقهم. وتقديم الظرف في الموضعين لقصد الحصر، ففي الحصر الأول تنبيه على غلظته بالنسبة إلى الكافرين، وفي الحصر الثاني إيماء إلى بطلان قول من زعم أنهم عيال على غيره (ع) من الفاسقين الذين انتحلوا اسم الإمامة والخلافة لأنفسهم.

(٣) لما ذكر نبذة من مناقبه المقتضية لكونه خليفة وذكر خلافها لهم مع التصريح بذلك حيث قال: « كنت خليفته » فرّع عليه هذا القول، ومعناه: فحملت أثقال ما ضعفوا عنه لقلة علومهم وضعف قلوبهم من النواميس الإلهية والأسرار الربانية والشرائع النبوية.

(٤) من الحدود والأحكام وغيرها.

ورعيت ما أهملوا[١]، وشمّرت إذ اجتمعوا[٢]، وعلوت إذ هلعوا[٣]، وصبرت إذ أسرعوا[٤]، وأدركت أوتار ما طلبوا[٥]، ونالوا بك ما لم يحتسبوا[٦]. كنت على الكافرين عذاباً صبّاً ونهباً[٧]، وللمؤمنين عمداً وحصناً[٨]،

(١) من الآداب والأخلاق.

(٢) شمّرت يعني اجتهدت وصممت في إعلان الحق والجهاد إذا اجتمعوا في الباطل أو الفرار من الزحف والعدو، وفي بعض النسخ: «إذ خشعوا»، أي: خضعوا وذلوا من الميل إلى الباطل، أو كرهوا الموت وفزعوا لفراق الأهل والأولاد.

(٣) وعلوت في الرتبة وجمع المكارم كلها إذ هلعوا في الدنيا ولم يصبروا على تحمل المشاق، والهَلوع: شديد الحرص وقليل الصبر.

(٤) صبرت في طلب حقك، أو في النوائب، أو في القيام على الحق، إذ أسرعوا في غصبه أو في الجزع أو في الباطل.

(٥) يخاطب بهذا الكلام أمير قوم يدفع العار والضر والشين عنهم حين ضعفوا عن مدافعتها، ويطلب لهم الجنايات والدماء حين عجزوا عن مطالبتها، وقد كان (ع) موصوفاً بهذه الصفة، إذ كان جُنّة لهم في مناظرة أهل الملل من العلماء ومقاتلة أهل الباطل من الأعداء.

(٦) نالوا بك من الخير والبركة ما لم يقدروا أن يحتسبوا ويعدّوه لكثرته.

(٧) صب الماء صبه صباً: إذا أفرغه، ونهب الشيء ينهبه نهباً: إذا أخذه وسلبه قهراً، وفيه إشارة إلى شوكته وغلبته على الكافرين. والحمل للمبالغة، أو الصب بمعنى الفاعل، أو المفعول والنهب بمعنى الفاعل.

(٨) شبهه بالعمود لقيام بناءِ أحوال المؤمنين به، وبالحصن لحفظه لهم عند الشدائد والضراء ورجوعهم إليه عند صولة الأعداء، ولأنَّ وجوده كان سبباً لحياتهم وبقائهم وإلاّ لساخت بهم الأرض، كما أن العمود والحصن سببان

فطرت والله بنعمائها[١]، وفزت بحِبائها[٢]، وأحرزت سوابقها[٣]، وذهبت بفضائلها[٤]، لم تفلل حجّتك[٥]، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخرّ[٦]، كنت كالجبل

لبقاء البناء والخلق، وإنما جمع العمود بالعمد ـ بفتح العين والميم أو بضمهما ـ وأفرد الحصن لافتقار البناء غالباً إلى الأعمدة، فهو (ع) وحده يقوم مقام الجميع بخلاف الحصن فإن الواحد المتين منه كاف في الصيانة. وفي كتاب (كمال الدين وتمام النعمة): «للمؤمنين غيثاً وخصباً».

(١) فطرت: إما على صيغة المجهول من الفطر، أي: خلقت والله بنعماء الخلافة، وجبلت بالطبع المتهيء لقبولها، لم تزُل عنها ولم تفارقها، والمراد بنعمائها الأسباب المقتضية لها والآثار المرتبة عليها، أو على صيغة المعلوم من الطيران، ففيه إشارة إلى انقطاع الخلافة بموته (ع).

(٢) الحِباء ـ بالكسر ـ العطية، نبه به على أن الخلافة عطية خصه الله تعالى بها لا يشاركه أحد فيها من مرتبة وجوده.

(٣) أي: حفظتها وضممتها إليك وصنتها عن الأخذ منها، وسوابق الخلافة ما له مدخل في تحققها من الأخلاق النفسانية والكمالات الروحانية والأعمال البدنية.

(٤) لعل المراد بفضائلها العدل في الحكم والرشد في الحق والتدبير في الأمر وغير ذلك من القوانين العدلية والنواميس الإلهية.

(٥) منشأ فلّ الحجة وانقطاعها وزيغ القلب وميله إلى الباطل وضعف البصيرة عن الحق وعدم اهتدائه إليه وجبن النفس في إجراء الحدود والمعارك قلة العلم وضعف اليقين وعدم ملكة الشجاعة، وقد كانت هذه الأمور أعني العلم واليقين والشجاعة فيه (ع) على أكمل المراتب وأعلاها وفي أرفع الدرجات وأسناها.

(٦) الخر والخرور السقوط مطلقاً أو من علو إلى سفل، وفعله من باب نصر

لا تحرّكه العواصف[١]، وكنت كما قال (ص): أمن النّاس في صحبتك وذات يدك[٢]، وكنت كما قال (ص): ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين. لم يكن لأحد فيك مهمز[٣]، ولا لقائل فيك مغمز[٤]، ولا لأحد فيك مطمع[٥]، ولا لأحد عندك هوادة[٦]. الضعيف الذليل عندك قويّ عزيز حتّى تأخذ له بحقّه، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتّى تأخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء. شأنك الحقّ والصدق والرّفق،

وضرب، وفي بعض النسخ: «ولم تخن» من الخيانة، ووجه ذلك ظاهر لأنّ السقوط من الحق إلى الباطل دأب الغافلين، والخيانة في الدين شأن الجاهلين، وقد كان (ع) أعرف العارفين وأشرف العالمين وسيد الراشدين.

(١) أي: الرياح الشديدة، مثل يضرب لمن ثبت في أمره لضياء عقله وكمال علمه وقوة حلمه، بحيث لا تحركه الآراء ولا تزعجه الأهواء.

(٢) للناس في صحبة الغير مفاسد منشؤها انحرافه عن الدين وضعفه في اليقين، ولما كان (ع) أميناً في الدين وقوياً في اليقين كان الناس آمنين في صحبته راشدين في خلته واثقين بعدله في تقسيم ما في يده من بيت المال وغيره.

(٣) المهمز الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم والمهمز موضعه، وهو ما يهمز به.

(٤) الغمز العصر والكبس باليد والإشارة بها وبالعين والحاجب.

(٥) الطمع قد يتعلق بالحق والباطل والمراد به هنا هو الثاني، وعدم تحقق هذه الأمور فيه ظاهر، لأنه (ع) كان منزّهاً عن جميع المعائب والنقائص.

(٦) أي: سكون في الباطل وميل إلى الجور ورخصة في الظلم. والهوادة: السكون والميل والرخصة.

وقولك حكم وحتم، وأمرك حلـم وحزم[١]، ورأيك علم وعزم فيما فعلت[٢]، وقد نُهج السـبيلُ وسَـهل العسير وأُطفئت النيران واعتدل بك الدين[٣] وقوي بك الإسـلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقاً بعيداً[٤]، وأتعبت مَن بعدك تعباً شديداً[٥]، فجللت عن البكاء[٦]، وعظمت رزيّتك في السماء[٧]،

(١) الحلـم: الأناة والتثبـت في الأمور، والحزم: ضبط الرجـل أمره والحذر من فواته، من قولهم: حزمت الشيء أي: شـددته، وهما من شعار العقلاء ودثار العلماء الذين يرون آخر الأمر في أوله وأوله في آخره.

(٢) لعل المراد بالرأي هنا ما ارتآه الإنسان واعتقد، أي، فكر فيه وتأنى ثم اعتقده، والعزم على الشيء تأكّد إرادته والجـد فيه، أي: رأيك في ما فعلت واعتقادك فيه علم لا ظن وتخمين، وعزم عليه لاشتماله على مصالح جمّة، لا تردد فيه لأنَّ الظن والتردد من صفات العاجز الذي لا دراية له بحقائق الأشـياء ومنافعها وحسن عواقبها.

(٣) تقديـم الظرف على الفاعل لقصد الحصر، والظرف متعلق بالأفعال الأربعة المذكورة، أعني: نهج وما عُطف عليه على سبيل التنازع.

(٤) أي: سـبقت غيرك في سبيل الخيرات والفضائل كلها سـبقاً بعيداً بالغاً إلى النهاية متجاوزاً عن الغاية.

(٥) إتعابه من بعده من الشـيعة والأحباء؛ إما لأجل حيرتهم في الدين، أو تعظيم المصيبة، والأخير أنسب بقوله: «فجللت عن البكاء».

(٦) أي: فعظمتَ، أي: يبكي عليك باكٍ ويأتي بحق البكاء.

(٧) يعني: مصيبتك في أهل السماء من الملائكة المقرّبين وأرواح القدسيين.

وهدّت مصيبتك الأنام[١]، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً، كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وقنّة راسياً[٢]، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلّنا بعدك.

وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى، وبكى أصحاب رسول الله (ص)، ثمّ طلبوه فلم يصادفوه.

(١) أي: هدّت صدورهم وكسرت قلوبهم.

(٢) أي: جبلاً ثابتاً مرتفعاً، وهو مثل يضرب به لمن هو ظهير القوم في النوازل والنوائب، والقُنّة ـ بالضم ـ: الجبل.